الرحلة العلمية ودورها في حركة التعليم بالأندلس في عصري الإمارة و الخلافة[1] (138 – 422 / 756 – 1030 م)

أ. بن حاج ميلود، جامعة زيان عاشور – الجلفة

Abstract :

This study deals with the topic of The Andalusian Scientific Journey to the East and its role within the Andalusian's learning process in addition to the the scientific graduation of the eastern ،religious scholars especially in literary and divine options.

The time setting of the study includes The "Emirate" and The "Khilapha" Ages ، during (138_422 AD) and (756_1030 AD) ،those two periods were considred as the most fertile times Andalusia had ever witnessed in the scientific and intellectual fields. Thus ،it is worthy to know how the Andalusians have reached that high class of intellectual prosperity where the secret in that was the care about learning _teaching process not only inside Andalusia but abroad as well . Regarding the advanced famous towns like The Holly Mecca ،Medina ،Egypt and Iraq without neglecting North African towns like Fas and Kairawan . For all these reasons the scientific journey was regarded among the most salient learning features of the Andalusians which made Andalusia rank to that high civilized class in the Islamic World.

This study released several outcomes amongst them :

1) The scientific journey which was made by the Andalusians whose men were satisfied only to learn from the eastern scientists but they had also sublime contributions even in sharing and debating at some scientific lectures which were set in literary، religious councils within the eastern world .

2) The scientific journey also contributed to insert and launch some precious books which were the most important literary means that had helped Andalusian teachers to manage their scientific lectures ; reading ،dictating or even addressing .

الكلمات المفتاحية (key words): الرحلة: Journey، علمية: scientific، التعلم: learning، التعليم: teaching

- **مقدمة :**

جاء مصطلح الرحلة مشتق من لفظ رحل أي سار فمضى[2]، ويقال أن الترحيل والإرحال أي الإزعاج، وهذا اللفظ يعبر عن الخوف والقسوة، فقد كان القدامى لشدة الرحلة يخصصون لها النياق الأشد والأقوى على السير ويقال: ناقة رحيلة، بمعنى شديدة قوية على السير، وكذلك يقال : جمال رحيل ذو رحلة أي ذو قوة على السير، ثم جرى ذلك على المنطق حتى قيل ارتحل قوم عن المكان ارتحالاً، ويقال رجل رحول وقوم رحل أي يرتحلون كثيراً، والترحال والارتحال بمعنى الانتقال، والرحلة اسم للارتحال للمسير، ويقال دنت رحلتنا ورحل فلان وارتحل وترحل[3].

ويشار أن الرحلة الأندلسية من أهم مميزاتها تعدد أنواعها فهناك ما يعرف بالرحلة السفارية (وهي سياسية دبلوماسية) كرحلة السفير يحيى الغزال (ت 250هـ/864م) مبعوث الأمير عبد الرحمن بن الحكم

(الأوسط) إلى ملك النورمان، والرحلة الحجازية، وكذا الرحلة الاستطلاعية والاستكشافية، والرحلة العلمية [1]، وهذا النوع الأخير هو المقصود في موضوعنا هذا .

- **أهداف الرحلة العلمية :**

لقد كانت الرحلة في طلب العلم، أو ما تُعرف اختصاراً بالرحلة العلمية حاجة كل طالب أو عالم في العصر الوسيط، لذلك كان **اكتساب العلم (التعلم)** هو مرادف وملازم لمعنى السفر في القرون الأولى للهجرة، ولقد اعتاد العلماء الأندلسيون على الرحلة من أجل الاستزادة بالعلم منذ العصر الأول للفتح فكان طلب العلم مظهراً من مظاهر التعبير عن ارتباطهم بالمشرق روحياً وعلمياً ،ونتج عن ذلك عدد لا يُقدر ولا يُحصى من الرحلات، والتي لم يدون منها إلا القليل[2]. و تُعقد الرحلة العلمية من أجل تحقيق غرضين هامين هما :

- هدف ديني وهو تأدية فريضة الحج .
- هدف علمي من أجل لقاء العلماء الموجودين هناك سواء علماء مكة والحجاز أو المشرق أو غيرهم من البقاع الأخرى، وهذا **لتلقي العلم والتحصيل أو تبادل المعارف و المناظرة** وغيرها من أشكال **التعليم**، ولا يتم كل ذلك إلا بعد أداء مناسك الحج[3].

وتجدر الإشارة بضرورة التمييز بين استفادة الطلبة الأندلسيين في رحلاتهم العلمية إلى المشرق وبين لقاءاتهم مع العلماء المشارقة الوافدين إلى الأندلس، وكذالك احتكاكهم ببعض الأوروبيين الذين حلوا بقرطبة وطليطلة لنفس الغرض،إذ كانت الأندلس في العصر الوسيط خاصة في العصر الأموي مقصداً وقبلةً لهؤلاء نظراً للتطور والرقي الحضاري الذي بلغته [4].

- **الرحلة العلمية و أثرها على الطالب الأندلسي وعلى المجتمع بصفة عامة :**

للرحلة العلمية التي يقوم بها الطالب الأندلسي دور هام بعد رجوعه إلى وطنه في تكوين شخصيته العلمية هذا على المستوى الشخصي، أما على مستوى أهله ومحيطه فهو يقوم **بنشر العلم** الذي **حصّله في رحلته** بين الطلبة الأندلسيين الذين لم يحالفهم الحظ في الارتحال والمُلاحظ أن هذه الرحلات كانت تتم بشكل فردي حسب الإمكانيات الفردية للطالب[5].

ولقد قام الطلبة العائدون من رحلاتهم العلمية بالإضافة إلى علماء المشرق الوافدين إلى الأندلس بتدعيم الحركة الأدبية والعلمية في مجالي **التدريس** والتأليف[6]، ومن هؤلاء الطلبة العلماء مثلاً الفقيه قاضي القضاة الأندلسي يحيى بن يحيى الليثي (ت234ه/848م) [7] فبعد أن قرأ الموطأ بقرطبة عن زياد بن عبد الرحمن اللخمي(ت 183ه / 799م)[8]، انتقل إلى المشرق وهو في سن الثامنة و العشرين من عمره، حيث اتجه نحو الحجاز، و**سمع** من مالك بن أنس وأُعجب به وسماه " عاقل الأندلس"، وعاد الفقيه يحيى بن يحيى الليثي إلى قرطبة، وصارت له الرئاسة في الفقه والقضاء، ونال مكانة سياسية رفيعة في البلاط الأموي منذ عهد الأمير هشام بن عبد الرحمن الداخل، والتي تأثرت سلباً في عهد الأمير الحكم بن هشام (180 – 206ه/796 - 822م) بسبب حادثة الربض 202ه/817م [9]، إلا أنه تعزز نفوذه أكثر في عهد عبد الرحمن بن الحكم الأوسط (206 – 238ه/ 822 - 852م) حيث أصبح قاضي الجماعة بل ويتدخل في شؤون الحكم ويفرض رأيه على الأمير [10].

- **أمثلة عن بعض الطلبة الذين رحلوا إلى المشرق بقصد طلب العلم [11] :**

مما يمكن ملاحظته قبل الخوض في عرض أمثلة عن هؤلاء الطلبة لابد الإشارة إلى أن الطالب الأندلسي الذي كان يرتحل إلى المشرق لهدف علمي يعتبر هو في حد ذاته عالم ومن علية القوم، وأثناء تنقله هذا فهو حامل لإرث علمي محصل و نتاج المراحل الأولى من **التعلم** في وطنه الأم –الأندلس - لذا كان يحظى بقدر كبير من الاحترام حتى لدى أهل المشرق [سمائخ] .

ولعرض نماذج من هؤلاء الطلبة العلماء الذين خرجوا من الأندلس **للاستزادة بالعلم** ،فتجدر الإشارة كذالك إلى أنه لا يقتصر الحديث والتخصيص للطلبة الذين قصدوا المشرق الإسلامي إلى مصر والحجاز والشام والعراق فقط، وإنما كذلك بعض الحواضر المغربية كالقيروان، وفاس، وغيرهما، فالرحلة العلمية تعني كذلك **زيارة و قصد طالب العلم كل مركز علمي أو ديني للتعلم والاستزادة** كالمسجد مثلاً أو دُور العلم كبيوت العلماء مثلاً أو غيرهما في أي حاضرة ثقافية كانت سواء في الأندلس أو خارجها ،أي كلما اتجه الطالب صوب الشرق أو جنوب الأندلس–مدن المغرب - فابن الفرضي (ت403ه/1012م) مثلاً صنف القيروان ضمن حواضر المشرق وهو بصدد الترجمة للفقيه محمد بن وضاح الصدفي (توفي في عهد عبد الرحمن الناصر) لما قال:" ...ورحل إلى المشرق، **فروى** بالقيروان تفسير القرآن ..."[شمائخ]، وذكر القيروان فقط في هذه الترجمة دون غيرها من الحواضر،كما انه لم تقترن الرحلة العلمية بالحج دائمًا وإلزامًا، فقد قصد بعض العلماء الأندلسيين بعض الحواضر بعينها ثم رجعوا إلى الأندلس دون إقامة فريضة الحج في هذه الرحلة، ومثال ذلك ما ذكره المقري(ت1041ه/1631م)وهو يترجم للعالم يوسف بن يحي بن يوسف الأندلسي الأزدي المعروف بالمغامي(ت288ه/900م) فبعد أن سمع من علماء الأندلس، رحل إلى مصر **للسماع** من علمائها ثم عاد إلى الأندلس، فأقام بقرطبة أعواماً ثم عاد إلى مصر ثانية و أقام بها، **وسمع الناس منه** وعظمت شهرته في المشرق ثم انتقل إلى القيروان حيث أقام بها إلى أن توفي [لمائخ]، و فيما يلي عرض لأبرز هؤلاء الطلبة كنماذج لعدد كبير من الذين ارتحلوا طلباً للعلم، وعلى سبيل المثال لا الحصر في عصر الإمارة الفقيه يحيى بن يحيى الليثي (ت234ه/848م) المذكور سالفاً، والعالم الفقيه بقي بن مخلد (ت276ه/889م)[□ائخ] فبعد أن أخذ عن علماء الأندلس، رحل إلى المشرق، **فسمع** من علماء الحجاز ومصر ودمشق وبغداد، **وسمع** من أحمد بن حنبل (ت241ه/855م)[□ائخ]،وسمع بالكوفة والبصرة وبلغ عدد **شيوخه** مائتان وأربعة وثلاثون رجلاً[□ بر].

وفي عصر الخلافة كان الحافظ القاضي أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن أبي عيسى (ت 339ه/ 1008م)[ائخ بر]، وهو أحد أحفاد الفقيه يحيى بن يحيى الليثي، وقد رحل أبا عبد الله محمد من قرطبة إلى المشرق سنة 312ه /924م، فدخل مصر وحج و**سمع** بمكة، ولما رجع إلى الأندلس سنة 314ه/ 926م ولاه عبد الرحمن الناصر قضاء جيان ثم البيرة ثم بجانة ثم طليطلة، ثم قاضي الجماعة بقرطبة سنة 324ه/935م، وكان كثير الخروج إلى الثغور حيث توفي في إحدى حصون طليطل[ر بر]، وكذالك الفقيه القاضي منذر بن سعيد البلوطي(ت355ه/966م) [ر بر] فبعد أن سمع من بعض علماء الأندلس رحل حاجاً سنة 308ه/920م[ر بر]، وبلغت شهرته وفضائله آفاق المشرق " فقد **سمع** من علماء مكة [سمائبر]، و**روى** عن علماء مصر، ومما وصف به الفقيه القاضي البلوطي أنه كان متفنناً في مختلف العلوم من فقه وتفسير ونحو وأدب وجدل ومنطق، خطيباً فصيحاً، وقد غلب عليه التفقه بالمذهب الظاهري [شمائبر] والبحث فيه والاحتجاج به لنفسه وأصحابه، أما في القضاء فقد كان يحكم بين الناس بالمذهب المالكي وهو المذهب الرسمي المعتمد لدى الدولة الأموية في الأندلس

آنذاك [1]،وقد أقام البلوطي في رحلته أربعين شهراً، ولم يكتف **بأخذ العلم** عن علماء المشرق بل كانت له **مساهمة جليلة في التدريس** ، إذ كان **يعقد الحلقات العلمية**، **فسمع منه** علماء في مكة ومصر [2] .

ولم يكتف العلماء أثناء رحلاتهم العلمية **بالأخذ** من علماء المشرق، بل تعدى ذلك إلى الإنتاج **والتلقين والمشاركة في الحلقات العلمية**، بل الأكثر من ذلك كانوا **يُدرّسون الطلبة ومارسوا التعليم** في بعض الحواضر التي تصادفهم في طريق الرحلة ،ومن هؤلاء مثلاً الوليد بن هشام بن المغيرة بن عبد الرحمن الداخل (ت399ه/ 1008م)، إذ خرج من الأندلس، ووصل برقة حيث اشتغل **بتعليم الصبيان وتلقين القرآن الكريم** [3] .

وعموماً فالغالب على الرحلات العلمية السالفة الذكر أن الهدف منها هو البحث عن الإجازات والمشيخة [4] دون إغفال **المساهمة والمشاركة في التعليم** [5]، فيما يشبه في عصرنا الحالي تبادل المعارف والخبرات بين علماء الأندلس ونظرائهم من تلك الأمصار، وقد كانت رحلة البحث عن **شيوخ العلم** هي الأساس الأول وكذا الهدف والمنال في آن واحد هذا فيما يخص الهدف الشخصي الفردي لكل طالب .

أما الهدف الأسمى ونستطيع أن نسميه الهدف العام، والذي يمس الحركة العلمية الأندلسية ككل فهو يتبلور في تقوية العلاقات الثقافية والعلمية بين علماء الأندلس والمشرق الإسلامي المركز الأم، فقد بدأ **الطلب العلمي** الأندلسي في القرون الأولى من الوجود الإسلامي في الأندلس بكثافة من خلال تلك الرحلات العلمية التي قام بها الطلبة من الأندلس إلى المشرق وهي الأكثر شيوعاً، وهذا لأن المشرق كان بمثابة المركز الروحي، نظراً للمكانة المقدسة لكل من الحاضرتين الشريفتين المدينة المنورة ومكة المكرمة واستقطابهما للعلماء من العالم الإسلامي، وكذلك وجود بعض العلماء والمشايخ من مختلف الحواضر العلمية المشهورة آنذاك في مصر والعراق والشام ...الخ .

وبهذا عملت حركة الرحلات العلمية على توثيق الصلات والعلاقات بين الطرفين، ونتج عن ذالك ازدهار الحياة العلمية الأندلسية، وبالتالي انتقل العلماء في الأندلس من مقلدين لعلماء المشرق إلى علماء منافسين ومتفوقين أحياناً [6]، ومثال ذلك ما ورد عن تلك المناظرة التي تفوق فيها الشاعر الأندلسي أبو مروان الجزيري(ت394ه/1004م)على اللغوي الخطيب صاعد البغدادي(ت 475ه/ 1082م) في مجلس المنصور بن أبي عامر،والتي انتهت بقول الحاجب المنصور : " لله درك يا أبا مروان قسناك بأهل بغداد – يعني صاعدا - ففضلتهم، فبمن نقيسك بعد؟ " [7]، هذا مثال عن فوائد وثمرات تلك الرحلات العلمية .

وتجلت أهمية الرحلة العلمية الأندلسية كذلك في تحقيق هدف اجتماعي وثقافي في آن واحد وهو توثيق الاتصال المادي والروحي بين الأندلس والمشرق، فضلاً عن نقل علوم المشرق إلى الأندلس والعكس صحيح، فقد ورد في موضع سابق من هذه الدراسة أن بعض الأندلسيين ممن تنقلوا إلى المشرق مارسوا وساهموا بفعالية في حقل **التدريس والتعليم** في بعض بلدان المشرق، كما ساهموا في توفير بعض الخدمات كالطب مثلاً، فالطبيب محمد بن عبدون الجبلي رحل إلى المشرق **ودرس الطب حتى أتقنه** هناك، وفي أثناء عودته ساهم بعلمه وخبرته الطبية مارستان [8] الفسطاط بمصر [9].

- **الرحلة ودورها في انتشار الكتب بالأندلس [10] :**

يعود الفضل في انتشار الكتب بالأندلس إلى عاملين أساسيين وهما :

1 - ازدهار نشاط حركة التأليف لدى العلماء الأندلسيين .

2 - إدخال الكتب المشرقية ورواجها بفضل الأندلسيين الذين قاموا بالرحلات العلمية أو

الحجية أو حتى الدبلوماسية أو التجارية .

وبما أن الرحلة إلى المشرق قد بدأت منذ عهد مبكر خاصة مع قيام دولة بني أمية في الأندلس فقد حرص هؤلاء الرحالة على جلب، وإحضار الكتب المشرقية ،وإدخالها إلى الأندلس، وكذالك العكس، إذ نقل هؤلاء الكتب الأندلسية إلى المشرق في مختلف المواضيع ،و المجالات سواء الدينية أو اللغوية أو العلمية ...الخ [1].

وما يمكن ملاحظته في حركة نقل الكتب المشرقية إلى الأندلس في البدايات الأولى بعد الفتح الإسلامي وقيام الدولة الأموية أنها كانت ترتكز أكثر بالاهتمام بكتب العلوم الدينية بالدرجة الأولى، ثم كتب الأدب المشرقية الشهيرة في المقام الثاني، ثم الكتب العلمية في مجال الرياضيات والفلك والفلسفة ...وغيرها[2].

ويمكن سرد على سبيل المثال لا الحصر بعض الرحلات التي أدخل أصحابها العديد من الكتب إلى الأندلس، وكان المبكرين من هؤلاء الفقيه عبد الرحمن بن دينار الواقدي (ت 212ه /827م) الذي أدخل كتب الفقه المالكي والكتب المعروفة بالمدينة المنورة إلى الأندلس [3].

ورحل الفقيه والمحدث والأديب والشاعر قاسم بن ثابت بن حزم السرقسطي (ت302ه/ 914م) هو وأبوه إلى المشرق، ورجعا بعلم كثير حتى قيل أنهما أول من أدخل إلى الأندلس كتاب العين في اللغة والعروض للخليل بن أحمد الفراهيدي(ت170ه/ 786م) [4].

كما رحل أبو عبد الملك عثمان بن المثنى القرطبي(ت273ه/886م) إلى المشرق **وقرأ** على حبيب بن أوس المعروف بأبي تمام(ت273ه/886م)ديوان شعره **وأدخله إلى الأندلس روايةً** عنه [5]،وعاد محمد بن عبد الله بن الغازي بن قيس(ت296ه/908م) القرطبي من المشرق فأدخل إلى الأندلس **علماً كثيراً** من الشعر وغريبه، **وعنه أخذ الأندلسيون الأشعار المشروحة روايةً** [6].

وروى ابن بشكوال أن الحافظ المحدث سلمة بن سعيد بن سلمة الشافعي المذهب (ت406ه/1015م) رحل إلى المشرق وحج وأقام بالمشرق ثلاثاً وعشرين سنة يجمع في الكتب و**أدب** في بعض الحواضر، وفي عودته إلى الأندلس ساق نحو ثمانية عشر حملاً مشدودة من الكتب في مختلف مجالات العلوم، ولم يتم له ذلك إلا بمال كثير حمله معه إلى المشرق [7].

كما أن بعض رجال الأسر الحاكمة في الأندلس كانت لهم مشاركة في جلب بعض الكتب المشرقية ،فقد ورد أن حبيب بن الوليد الملقب بدحون(توفي بعد200ه/815م) [8] رحل إلى المشرق ولقي بعض علماء الحديث ،**وكتب عنهم ورجع إلى الأندلس بعلم كثير** [9]، وكذالك ابن الأحمر محمد بن معاوية(ت365ه/975م) الذي يُنسب إليه أنه أول من أدخل إلى الأندلس مصنف النسائي (ت303ه/915م) في السنن، وقد **حدّث به** في الأندلس[10].

ولم تقتصر المساهمة في رواج الكتب بالأندلس على العلماء العائدين من المشرق والحكام ورسلهم وأعوانهم، بل كان للتجار دور في هذا الشأن، وقد كان قصدهم في هذا النشاط التجارة والربح ،أو الإهداء **لطلبة العلم والمتعلمين** كما جرى الحال مع أبي بكر أحمد بن الفضل الدينوري (ت349ه/960م) [11]، وكذالك أحمد بن خالد بن قبيل بن يبقى الجذامي القرطبي التاجر (ت378/988م) الذي أدخل إلى الأندلس" كتباً غريبة **تفرد بروايتها فسمعها الناس منه** ولم يكن له فهم ..ولا كان يقيم الهجاء إذا كتب، غير أنه كان رجلاً صالحاً

صدوقاً "□ ير، وكان محمد بن عبيد الله بن أيوب الدباج(ت317ه/929م) لاشتغاله بعمل الديباج والذي كانت كتبه بخط الوراقين وهو ثقة **سمع منه الناس** في القيروان والأندلس □ ير .

وساهم الغرباء الوافدون إلى الأندلس في إدخال بعض العلوم **روايةً** فكان منهم على سبيل المثال علي بن بندار بن إسماعيل البرمكي (كان حيّا 337ه/ 948م) وهو من أهل بغداد، وقد قدم إلى الأندلس تاجراً وأدخل كتابي" الموضح"، " والمنجح" في الفقه لأبي الحسن عبد الله بن أحمد المغلس الداودي الظاهري (ت324ه/935م)□سه،وجاء أحمد بن محمد بن هارون البغدادي الخلال(ت311ه/923م) إلى الأندلس حيث أدخل معه بعض كتب أبا محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة(ت276ه/889م) **روايةً**، وبعض كتب عمرو بن بحر الجاحظ(ت255ه /869م) **روايةً** كذلك ورجع إلى المشرق بعد أن تردد أعواماً في الأندلس□سخ .

كما وفد إلى الأندلس أيام الخليفة عبد الرحمن الناصر لدين الله الأديب اللغوي أبو علي إسماعيل بن القاسم القالي (ت 356ه/966م) والذي دخل قرطبة سنة 330ه/994م فأكرمه الخليفة الناصر واستقبله ابنه الحكم وبالغ في تعظيمه □رسه، وأبو علي القالي هو مؤلف كتاب"الأمالي" في اللغة، وكتاب "الأفعال"،"فعلت و أفعلت"،"مقاتل الفرسان"،و"تفسير السبع الطوال "، "الإبل والخيل"، و"البارع في اللغة الذي يقع في نحو خمسة آلاف ورقة، و"المقصور والممدود على التفعيل ومخارج الحروف من الحلق" جمع فيه ما لا يُحد ولا يُعد أعجَزَ ما بعده وفاق من تقدمه، وكان أبو علي قد عُرف بأنه أحفظ أهل زمانه باللغة والشعر ونحو البصريين على حد وصف المقري التلمساني □رسه .

كما ساهمت الرحلة في رواج وانتشار بعض الكتب ،ورسائل الفقهاء التي لها علاقة أو تناولت **موضوع التربية والتعليم**، ومثال ذلك الرسالة التي بعثها الفقيه القيرواني أبومحمد عبد الله بن أبي زيد النفزي(ت386ه/978م)إلى **علماء ومربي ومعلمي الأندلس**، ووصلت نسخة منها إلى العالم الأندلسي أبي بكر محمد بن زرب القرطبي (ت381ه/991م)، وتتكلم هذه الرسالة عن **تعليم أبناء المسلمين** مبادئ عقيدتهم □رسه.

والجدير بالذكر أن الأندلسيين لم يتقبلوا كل ما ألفه علماء المشرق الوافدين إلى الأندلس أو محتوى تلك الكتب القادمة من المشرق، بل لقيت بعض الكتب الحذر وفي بعض الأحيان الرفض وهو ما جرى عندما طعن أدباء الأندلس محتوى كتاب الفصوص في الأدب والأشعار والأخبار للغوي البغدادي صاعد بن الحسن البغدادي (ت410 أو417ه/1019 أو 1026م)□سه حتى أنهم رموه في النهر، وسبب ذلك أن المنصور بن أبي عامر طلب من صاعد أن يُؤلف له كتاباً في اللغة لم يؤلفه أحد من قبله ، وهو يقتفي بذلك أبو علي البغدادي لما ألف كتاب الأمالي للحكم المستنصر، ويرجع رفض علماء وأدباء المنصور كتاب المنصوص لقلة علمه وعدم الثقة في ما تضمنه من مادة مشكوك في صحتها □شمسه، ورغم ذلك فقد أثابه المنصور بخمسة آلاف دينار وأمر بأن **يسمعه الناس في المسجد الجامع بالزاهرة** وذالك ابتداءً من سنة 385ه/995م □سه .

ورحل أيوب بن سليمان بن حكم بن بلكايش بن إليان القوطي (ت326ه/937م)□سه إلى المشرق فجلب معه الكثير من كتب العراقيين، ولكن أعرض الناس عن كتبه لأنها كانت في موضع الشك فلم **يُحدث** بها أحد **إلا ابنه** □سه .

كما ثار بعض الأندلسيين على كتب الاختلاف، وغرائب الحديث لصاحبها المحدث بقي بن مخلد (ت276ه/889م)□شه، ومن الكتب التي انفرد بها هذا الفقيه والمحدث ولم يدخلها سواه إلى الأندلس كتاب

الفقه للإمام الشافعي (ت204ه/820م) ،و مصنف أبي بكر بن أبي شيبة (ت235ه/849م)، وكتاب التاريخ لخليفة بن خياط(ت 240ه/854م)...الخ [لخشم].

- **خاتمة :**

مما سبق ذكره عن هذا الموضوع نستطيع في الأخير أن نخرج بعدة نتائج أهمها :

- أن الهدف الأساسي من الرحلة العلمية التي قام بها طلاب العلم الأندلسيين كان للاستزادة بالعلم التعلم من علماء مشايخ مختلف الحواضر التي يصادفها الطالب في طريق حلته خاصة منها الحاضرتين الشريفتين مكة المكرمة المدينة المنورة .

- لم يكتف طلاب العلم الأندلسيين بالأخذ عن علماء المشرق بل كانت لهم مشاركة فعالة في التدريس ، تنشيط بعض الحلقات العلمية في كبرى الحاضر المشرقية .

- ساهمت الرحلة العلمية التعلمية في تكوين شخصية الفرد الأندلسي، فبعد عودته من رحلته المشرقية يصبح قبلةً مقصدًا من طرف طلاب العلم الأندلسيين الذين لم يسعفهم الحظ للارتحال إلى المشرق للأخذ عنه الاستزادة منه .

- للرحلة العلمية الأندلسية دور اجتماعي و ديني ، فطلب العلم و التعلم عند علماء وفقهاء المشرق خاصة في الحجاز، يعبر عن الارتباط الروحي للأندلس بالمشرق .

- ساهمت الرحلة العلمية في انتشار الكتب المشرقية ورواجها بالأندلس، فالكتاب يعد أحد أهم الوسائل المستخدمة في التعليم إقراءً وإسماعاً وإملاءً، واستطاع الأندلسي الاطلاع على إنتاج علماء وفقهاء المشرق والحصول على نفائس و أمهات الكتب في مختلف المجالات التخصصات في الفقه النحو والشعر والفلسفة والحساب والفلك والطب...الخ .

- وبفضل الرحلة العلمية وما نتج عنها من احتكاك بين طلاب العلم الأندلسيين وعلماء المشرق أصبح بمقدور الأندلسيين مناقشة ونقد ما قدمه علماء المشرق سواء في حلقاتهم العلمية أو في مؤلفاتهم، وبهذا انتقل الأندلسيون من مرحلة التقليد والاقتباس إلى مرحلة بناء ونضج الشخصية العلمية الأندلسية، حتى إلى درجة أنه استطاع بعض العلماء الأندلسيين أن يصححوا بعض أخطاء علماء المشرق .

الهوامش:

---

[1] ينبغي الاشارة هنا بأن الرحلة العلمية التي قام بها طلبة العلم الأندلسيين إلى المشرق كان الهدف منها الأول وبالأساس هو الأخذ عن علماء ومشايخ وفقهاء المشرق أي لغرض **التعلم**، وبعد الرجوع إلى البلد الأم - الأندلس – يبدأ هؤلاء بنشر العلم وتنظيم الحلقات العلمية في المساجد وقصور الخاصة و البيوتات العلمية للتدريس و الاملاء و الاسماع وتلك الأشكال والطرق تعبر عن أهم مظاهر ممارسة نشاط التعليم، لهذا فالدراسة تستهدف الشق الأول من هذا النشاط وهو **الحديث عن تعلم الأندلسيين لدى علماء المشرق .**

[2] ابن منظور الإفريقي (جمال الدين محمد بن مكرم)، **لسان العرب** ،دار صادر، بيروت، ،م11، ص 278 .

[3] نفسه، م11، ص ص 276 وما بعدها.

[4] توجد دراسة خاصة لهذه الأنواع بالتفصيل، ينظر إلى أحمد بوغلا، **الرحلة الأندلسية (الأنواع والخصائص)**، دار أبي رقراق للطباعة والنشر، الرباط، ط1، 2008، ص16 وما بعدها .

[5] المقري التلمساني(أحمد بن محمد)،**نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب وذكر وزيرها لسان الدين بن الخطيب** ،تحقيق: يوسف الشيخ محمد البقاعي،دار الفكر ،بيروت، ط1 ،ج2، 1998، ص 183 وما بعدها،ج3، ص 3 . أحمد بوغلا، المرجع السابق، ص 235 .

[6] بشير رمضان التليسي، **الاتجاهات الثقافية في الغرب الإسلامي خلال القرن الرابع الهجري/العاشر الميلادي**، دار المدار الإسلامي، بيروت، ط1، 2003، ص 237 .

[7] زيغريد هونكه،**شمس العرب تسطع على الغرب وأثرها على الحضارة العربية في أوروبا**،نقله عن الألمانية : فاروق بيضون،كمال دسوقي، راجعه ووضع حواشيه : مارون عيسى الخوري، دارالآفاق الجديدة، بيروت، ط6 1981، ص 500.

[8] عبد القادر بوباية، **إسهام التاهرتيين في الحركة العلمية بالأندلس** ،مجلة الخلدونية ،جامعة ابن خلدون ،تيارت، عدد خاص : أكتوبر 2009، ص 174 .

[9] نفسه .

[10] كان يتولى تعيين القضاة والوزراء في عهد عبد الرحمن بن الحكم (الأوسط)، يُعرف بأبي محمد، عالم الأندلس في عصره أصله من بربر مصمودة بالمغرب، وله باع في علم الحساب والنحو واللغة والعروض ومعاني الشعر والأخبار والجدل. مؤلف مجهول،**أخبار مجموعة**، تحقيق:إبراهيم الأبياري،دار الكتاب المصري،دار الكتاب اللبناني ،القاهرة ،بيروت،ج1 ط2، 1989، ج1، ص 125 .ابن الفرضي(عبد الله بن محمد)، **تاريخ علماء الأندلس**،الدار المصرية للتأليف والترجمة،ق2، 1966،ص ص 179 -180. الخشني (أبو عبد الله محمد) **قضاة قرطبة**،تحقيق:إبراهيم الأبياري،دار الكتاب المصري،دار الكتاب اللبناني ،القاهرة، بيروت، ط2،م6، 1989، ص ص30 -31.

[11] فقيه قرطبي، يكنى : أبا عبد الله، يلقب بشبطون، ويلقب كذلك بفقيه الأندلس، من تلاميذ الإمام مالك بن أنس، وهو أول من أدخل الموطأ إلى الأندلس متفقهاً بالسماع، عُرض عليه القضاء في عهد الأمير هشام الرضا بن عبد الرحمن الداخل(172 -180ه/788 -796م)فرفض،توفي 193 أو194 أو199ه.ابن الفرضي المصدر السابق، ق1 ،ص ص 154 - 155 . القاضي عياض (موسى بن عياض)، **ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك**، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية المغربية، ج1 ،ص 349 وما بعدها .

[12] الربض : هو حي من أحياء قرطبة، وارتبط هذا الاسم بالأمير الحكم فأصبح يُطلق عليه الأمير الحكم الربضي، وقد حدثت هذه الواقعة يوم الأربعاء 13 رمضان من سنة 202ه، وقَتَلَ الحكم من أهل الربض نحو الثلاثمائة، وتتبع الباقي مدة ثلاثة أيام، ومن الهاربين من استولوا على جزيرة ايقريطش (كريت)، وأصبحت قاعدة الأندلسيون الشرقية في بحر الشام ومركز تهديد ضد البيزنطيين.ابن خلدون (عبد الرحمن بن محمد)، **تاريخ العبر وديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر**،دار الكتاب اللبناني، بيروت، 1968، م4، ص 274. السيد عبد العزيز سالم، **تاريخ المسلمين وآثارهم في الأندلس**، دار النهضة العربية، بيروت ، 1981 ،ص 222 وما بعدها .

[13] ابن عذارى المراكشي أبوعبد الله محمد)،**البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب**،تحقيق ومراجعة:ليفي بروفنسال وَ ج.س كولان، دار الثقافة، بيروت،ج2، ص89 . عمر فروخ، **تاريخ الأدب العربي**، دار العلم للملايين، بيروت ط3، ج4، 1996، المرجع السابق، ج4، ص 99 .

[14] خصص المقري التلمساني(ت1041ه/1631م)الباب الخامس من القسم الأول في كتابه نفح الطيب وفي خمس مائة واثنان وثمانون صفحة لذكر بعض من رحل من الأندلسيين إلى بلاد المشرق، ولقد استفاد الطلبة الأندلسيون من هؤلاء العلماء مما تحوي صدورهم من حفظ وعقولهم من فكر وفهم للمسائل في مختلف التخصصات بعد رجوعهم من رحلتهم العلمية خاصة في العلوم الدينية والأدبية .كما ذُكِـر العديد منهم في كتب التراجم و الطبقات كابن الفرضي (ت 403ه/1012م) في

كتابه تاريخ علماء الأندلس، و ابن بشكوال (ت578هـ/1183م) في كتابه الصلة، والأكيد أنه مهما خصصت من المجلدات فإنها لا تتسع لحصر وإحصاء كل هؤلاء الطلبة الذين رحلوا إلى المشرق بقصد التعلم أو الحج أو التعلم والحج معاً ، من خلال لقاء علماء المشرق وأخذ العلم عنهم، وكذلك تبادل التشاور في أمور العلم والثقافة. المقري التلمساني(أحمد بن محمد)، المصدر السابق، ج2، ص183 وما بعدها ، ج3،ص 3 وما بعدها. التليسي بشير رمضان، المرجع السابق، ص 237.

[15] قاسم الحسيني،**الرحلة العلمية بين الأندلس والمشرق**، مجلة:كراسات أندلسية، تقديم :عباس الجراري، مركز دراسات الأندلس وحوار الحضارات الرباط، ط1، 2006، ص ص 110 – 111 .

[16] ابن الفرضي، المصدر السابق، ق 2 ،ص30.

[17] المقري التلمساني، المصدر السابق، ج3، ص 129 .

[18] قرطبي،حافظ، مفسر وإمام محقق .ابن بشكوال، (أبو القاسم بن خلف)، **الصلة**، تحقيق : إبراهيم الأبياري، دار الكتاب المصري،دار الكتاب اللبناني،القاهرة، بيروت، ج 1، ط 1، 1989، ص 195 وما بعدها . المقري التلمساني، نفسه . خير الدين الزركلي **الأعلام**، دار العلم للملايين، بيروت، ط16، ج2، 2005، ص 60 .

[19] إمام المذهب الحنبلي،نشأ منكباً على طلب العلم فقد رحل إلى أماكن عديدة منها: الكوفة والبصرة والشام والمغرب واليمن وخراسان،له مؤلفات كثيرة منها:المسند ا،وكتاب التاريخ ،والناسخ والمنسوخ...الخ.السلماني(يحيى بن ابراهيم)،**منازل الأئمة الأربعة**،تحقيق: محمود بن عبد الرحمن قدح، الجامعة الإسلامية،المدينة المنورة،2002، ط1،ص234 وما بعدها.الشيرازي الشافعي أبا إسحاق، **طبقات الفقهاء** ،تحقيق: إحسان عباس دار الرائد العربي،بيروت،ص91وما بعدها.البغدادي(محمد بن أبي يعلى الفراء)،**طبقات الحنابلة**، تحقيق وتقديم وتعليق:عبد الرحمن بن سليمان العثيمين مكتبة الملك فهد الوطنية،الرياض،ج1، 1999،ص 08وما بعدها.المقدسي الحنبلي(أبا عبد الله محمد بن أحمد)، **مناقب الأئمة الأربعة**،تحقيق: سليمان سلم الحرش،دار المؤيد،(د.ت)، ص127 وما بعدها.

[20] المقري التلمساني، المصدر السابق، ج3، ص ص 127 – 128 .

[21] قاضي الجماعة بقرطبة له عناية بعلم الإعراب ومعاني الشعر . ابن الفرضي المصدر السابق ،ق2 ص 59 .

[22] المقري التلمساني، المصدر السابق، ج2، ص188وما بعدها .الخشني، المصدر السابق ،م6،ص233 وما بعدها.

[23] قاضي الجماعة بالأندلس في عهد الخليفة عبد الرحمن الناصر ثم ابنه الحكم المستنصر إلى أن توفي هو ،له مؤلفات في القرآن والفقه والسنة والرد على أهل الأهواء .النباهي المالقي (أبو الحسن علي بن عبد الله)، **المراقبة العليا فيمن يستحق القضاء والفتيا " تاريخ قضاة الأندلس"**، دار الأفاق الجديدة، بيروت ،ط5، 1983 ،ص66 وما بعدها . محمد الشريف قاهر، **منذر بن سعيد البلوطي الأندلسي خاطباً قاضياً شاعراً**،القسم الثاني، مجلة الدراسات الإسلامية، المجلس الإسلامي الأعلى، الجزائر، العدد:02 ،ديسمبر 2002 ،ص128 وما بعدها .

[24] ابن الفرضي، المصدر السابق، ق2، ص 144 .المقري التلمساني، المصدر السابق، ج2، ص 195 .

[25] ابن الفرضي، نفسه .المقري التلمساني، نفسه .

[26] هو المذهب الذي يأخذ بظاهر النصوص الشرعية من الكتاب والسنة وكذلك الإجماع ،وينفي القياس والاجتهاد في إصدار الأحكام الشرعية .الشهرستاني (محمد عبد الكريم بن أحمد)، **الملل والنحل**، تقديم: صدقي جميل العطار،دار الفكر، بيروت، ط2، 2002، ص 166 .عبد المنعم الحنفي، **موسوعة الفرق والجماعات والمذاهب الإسلامية** دار الرشاد، القاهرة، ط1، 1993، ص286.

[27] المقري التلمساني، المصدر السابق ،ج2، ص 195 .

[28] نفسه . قاسم الحسيني، المرجع السابق، ص 127 .

[29] نفسه، ج3 ، ص 247 .

[30] المشيخة : جمع شيخ، ولغة بمعنى من استبان فيه السن، ويطلق الشيخ مجازاً على المعلم أو الأستاذ كتعظيمه وتقديرا له أما المشيخة اصطلاحاً فهي وثيقة يدوِّن عليها الطالب المرتحل نشاط العلماء الين درس عندهم، توضح التوجهات العلمية أو ما يسمى المقررات الدراسية، وكذا المؤلفات المرتبطة بها، وتعد هذه الوثيقة من الوثائق التي تصور نشاط العلماء وطرقهم في التدريس والتعليم، وكذا كتبهم التي يتداولونها، وفنون المعرفة التي يطرقونها وآدابهم عند التلقي وتفاوت مراتبهم في درجات العلم وحرصهم على الإسناد . عبد الله المرابط الترغي، **فهارس علماء المغرب من النشأة إلى نهاية القرن الثاني عشر للهجرة منهجيتها -تطورها -قيمتها العلمية**، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة عبد الملك السعدي ،تطوان (سلسلة الأطروحات رقم02) ،ط1، 1999، ص ص 39 – 40 . قاسم الحسيني المرجع السابق ص 133 .

[31] قاسم الحسيني، المرجع نفسه، ص 131 .

[32] عبد الواحد ذنون طه، **دراسات أندلسية**، دار المدار الإسلامي، بيروت، ط1، 2004،ص191.

[33] المقري التلمساني، المصدر السابق، ج3، ص ص 359 -360.

[34] المارستان أو البيمارستانات: هي كلمة فارسية مركبة من شطرين: بيمار بمعنى مريض أو عليل أو مصاب،وستان أي مكان أو دار، ومنه فهي دار المرضى، ثم اُختصر اللفظ ليصبح مارستان بمعنى المستشفيات في عصرنا . أحمد عيسى بك **تاريخ البيمارستانات في الاسلام**،دار الرائد العربي، بيروت، ط2، 1981، ص ص 4، 10.

[35] ابن جلجل(سليمان بن حسان)،**طبقات الأطباء والحكماء**،تحقيق: فؤاد سيد، مؤسسة الرسالة، بيروت،ط2، 1985 ص115. عبد الواحد ذنون طه، المرجع السابق، ص 198 .

[36] يعد الكتاب من بين أهم الوسائل المستخدمة في التعليم، فقد يوظفه الفقيه المعلم للإملاء على الطلبة، كما أن الكثير من المؤلفات الأندلسية كانت نتاج إملاء المعلم لتلاميذه في حلقة علمية ما .

[37] إبراهيم علي العكش، **التربية والتعليم في الأندلس**،دار عمار، دار الفيحاء ،أربد،عمان، ط1، 1986،ص58 .

[38] خوليان ريبيرا، **التربية الإسلامية في الأندلس أصولها المشرقية وتأثيراتها الغربية**، ترجمة: الطاهر أحمد مكي،دار المعارف، القاهرة، ط2، 1994، ص 150 .

[39] ابن الفرضي، المصدر السابق، ق1، ص 257 .

[40] نفسه، ق 1، ص 361 . المقري التلمساني، المصدر السابق، ج2، ص217.

[41] نفسه، ق1، ص 302 .خوليان ريبيرا، المرجع السابق، ص 151 .

[42] ابن الفرضي ،المصدر نفسه، ق2، ص ص 22 – 23 .

[43] ابن بشكوال، المصدر السابق، ج1، ص 351 .

[44] قرطبي، كان فقيهاً،أديبًا ،شاعراً ،رحل الى المشرق في عهد عبد الرحمن بن الحكم (الأوسط)، وكانت له حلقة بجامع قرطبة للتدريس . المقري التلمساني، المصدر السابق، ج3، ص ص116 - 117.

[45] نفسه . خوليان ريبرا، المرجع السابق، ص 152 .

[46] الضبي، المصدر السابق، ج1، ص 166 .

[47] ابن الفرضي، المصدر السابق، ق1، ص ص 61 -62. خوليان ريبرا، المرجع السابق، ص 152 .

[48] ابن الفرضي، المصدر السابق، ق1، ص ص 55 – 56 .خوليان ريبرا، المرجع السابق، ص ص 152 – 153.

[49] ابن الفرضي، المصدر السابق، ق2، ص ص 37 -38 . خوليان ريبرا، المرجع السابق، ص 153 .

[50] الصفدي صلاح الدين (خليل بن أيبك)، **الوافي بالوفيات**،تحقيق:أحمد الأرناؤوط، تركي مصطفى،دار إحياء التراث العربي ،بيروت، ج17،ط1، 2000، ص25. المقري التلمساني، المصدر السابق، ج3، ص 337 .

[51] ابن الفرضي، المصدر السابق، ق 1، ص 61 . خوليان ريبرا، المرجع السابق، ص 151 .

[52] المقري التلمساني، المصدر السابق، ج3، ص 340 وما بعدها .

[6] نفسه، ص ص 342 – 343 .

[54] الدباغ (عبد الرحمن بن محمد)، **معالم الإيمان في معرفة أهل القيروان،** أكمله وعلق عليه : أبو الفضل أبو القاسم بن عيسى بن ناجي التنوخي، تصحيح وتعليق: ابراهيم شبوح، مكتبة الخانجي، مصر، 1968 ،ج3، ص 113.بشير رمضان التلييسي، المرجع السابق، ص 252.

[55] يكنى : أبا العلاء، دخل الأندلس في أيام ولاية المنصور محمد بن أبي عامر سنة 380ه/ 990م، أصله من الموصل واختلف المؤرخون في ضبط تاريخ وفاته فيذكر المقري نقلاً عن الحميدي سنة 410ه/1019م، أما ابن بشكوال فيحدده نقلاً عن ابن حزم الظاهري سنة 417ه /1026م بصقلية. ابن بشكوال ،المصدر السابق،ج1، ص372 . المقري التلمساني، المصدر السابق، ج3، ص 362 .

[56] نفسه، ج3، ص 345 .

[57] ابن بشكوال، المصدر السابق، ج1، ص 371 .

[58] قرطبي، يكنى:أبا سليمان ،سمع من بقي بن مخلد (ت276ه/889م) وصحبه، كانت له وجاهة بعلمه .ابن الفرضي المصدر السابق، ق1، ص ص 86 – 87.

[59] نفسه، خوليان ريبرا، المرجع السابق، ص 152 .

[60] قرطبي، يكنى: أبا عبد الرحمن، فقيه، محدث، كان ورعاً، فاضلاً، زاهداً، له رحلة إلى المشرق سمع من عدد كبير من المحدثين، ومن مؤلفاته : تفسير القرآن، مسند النبي صلى الله عليه وسلم ...الخ .ابن الفرضي، المصدر السابق، ق1 ص 91 وما بعدها .

[61] نفسه، ق1، ص 92.